



قد يكون المتابعون للمجازر التي يرتكبها نظام بشار الأسد وحلفاؤه في حلب منذ أكثر من أسبوع، غاب عن بالهم أن اتفاق وقف الأعمال العدائية في سوريا الذي أنتجه روسيا والولايات المتحدة الأميركيّة في 22 شباط (فبراير) الماضي نص على نقاط تفصيلية تجعل من الهجمة الأخيرة التي يشنها تحالف الأسد وإيران و«حزب الله» وسائر الميليشيات الحليفة على مناطق المعارضة، فضيحة على الصعيد الدولي.

لم يسبق أن ضربت أي دولة أو جهة مسلحة بعرض الحائط اتفاقاً دولياً كالذي نحن أمامه، على مر الحروب، بهذا الوضوح، سوى إسرائيل حيال الشعب الفلسطيني، مثلما تفعل الدولة الروسيّة العظمى، الطامحة إلى استعادة مكانتها الدوليّة ونديتها مع أميركا.

إنها تتصرف كالميليشيات غير المنضبطة، ما يجعل الهالة التي أعطيت لـ«القيصر» و«لاعب الجيدو» الماهر الذي يجيد مفاجأة خصميه، تسقط إلى أدنى درجات سيل الدماء التي تنزف من المدنيين، وهو التدمير الممنهج في حلب.

قد يكون من السذاجة التذكير بنصوص الاتفاق الذي صاغه سيرغي لافروف وجون كيري، بعدما تسببت الموجة السابقة من الهجمات على حلب في مطلع شباط بغضب أوروبي وأميركي، لتزامنها مع بدء مفاوضات جنيف في حينها وفق قرار مجلس الأمن 2254: وقف الهجمات بأي نوع من الأسلحة، بما في ذلك القصف الجوي للجيشين السوري والروسي (النظام قصف حلب بصاروخ بعيد بالистبي، إضافة إلى الطيران طبعاً)، التوقف عن السعي لكسب أراضٍ من الأطراف الأخرى المشاركة في وقف النار (يفاخر النظام والإيرانيون بخوضهم المعركة «الكبرى» لاحتلال حلب... وبأنباء الحشود لهذا الغرض)، السماح للمنظمات الإنسانية بوصول سريع وآمن من دون عراقيل إلى جميع المناطق فوراً لإيصال المساعدات (سمح النظام بإدخال قناني المياه إلى داريا ومنع الطعام عنها وعن مضايا وغيرها باعتراف ستيفان دي ميستورا)، الإفراج المبكر عن المعتقلين، وخصوصاً النساء والأطفال، الاستخدام المناسب للقوة في حال الدفاع عن النفس (ما يعطي المعارضة حق الرد..). ولم يغفل الاتفاق هدف «تنفيذ سريع وفعال وناجح لعملية الانتقال السياسي» طبقاً لقرار مجلس الأمن 2012، وفي عدد من فقراته يلزم «الدول الإقليمية بدعم وقف العنف».

في المقلب الآخر من «سذاجة» استرجاع النصوص حقائق ساطعة بربت:

- استخدمت موسكو اتفاق الهدنة، ومن ثم إعلانها سحبها الجزئي والمسرحى لقواتها الجوية في 14 آذار، من أجل جعل النظام ينضم صفوته مع الإيرانيين، الذين استقدموا المزيد من القوات الخاصة تمهيداً للاندفاعة التي ينفذها الآن.

- ببرت موسكو تراجعاً عن البحث في مصير الأسد تحت عنوان إجراء انتخابات رئاسية بعد 18 شهراً يترشح فيها هو ويسقط بنتيجتها، لأن النازحين المعارضين له سيشتركون فيها بحماية ورقابة دوليتين، بأن «الحليف الصعب»، إيران، يرفض هذه الصيغة.

وانتقلت موسكو إلى طرح صيغ ملتبسة من نوع تعين نواب للرئيس وتشكيل مجلس عسكري مشترك، للتحايل على مطلب نقل صلاحياته وبحجـة أولوية محاربة «داعش» و«جبهة النصرة». جاء كل ذلك بعدما أقنعت واشنطن منذ خريف 2015، أن الـبـيـت بـبقاء الرئـيـس السـوـرـي أو رـحـيـلـه يتم بـعـد بـدـء العملـيـة السـيـاسـيـة، وبالاتفاق مع «الدول الإقليمية». وهو يعني التسلـيم بـبقاءـه.

- تركـتـنـظـامـ وـحـلـفـاءـ يـسـتـخدـمـونـ «ـدـاعـشـ»ـ وـهـجـمـاتـهـ عـلـىـ مـوـاـقـعـ الـمـعـارـضـةـ الـتـيـ تـخـضـعـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ لـاخـتـبـارـ قـتـالـ تنـظـيمـ «ـالـدـوـلـةـ إـلـلـاـمـيـةـ»ـ،ـ منـ أـجـلـ إـضـعـافـ الـمـعـارـضـةـ الـمـعـتـدـلـةـ الـمـصـرـرـةـ عـلـىـ رـحـيـلـ الأـسـدـ،ـ بـعـدـ أـنـ نـجـحـتـ فـيـ توـحـيـدـ صـفـوفـهـ فـيـ مؤـتـمـرـ الـرـيـاضـ الشـهـيرـ (ـفـيـ مـطـلـعـ كـانـونـ الـأـوـلـ/ـ دـيـسـمـبـرـ)ـ بـيـنـ الـمـجـمـوعـاتـ السـيـاسـيـةـ وـأـكـثـرـ مـنـ 90ـ فـصـيـلاـ مـسـلـحاـ عـلـىـ الـأـرـضـ وـتـعـذـرـ تـجاـوزـهـاـ.

- دـفـعـ الـمـعـارـضـةـ إـلـىـ الـانـسـاحـبـ مـنـ مـفـاـوـضـاتـ جـنـيفـ 3ـ الـأـخـيـرـ اـحـتـاجـاـ عـلـىـ خـرـقـ الـهـدـنـةـ وـالمـجـازـرـ،ـ منـ أـجـلـ السـعـيـ إـلـىـ تقـسيـمـهـاـ وـتـشـتـيـتـهـاـ وـالـمـطـالـبـهـ بـوـضـعـ بـعـضـ فـصـائـلـهـاـ عـلـىـ لـائـةـ إـلـرـهـابـ،ـ وـإـيـجادـ مـفـاـوـضـاتـ جـدـدـ لـإـحـلـالـ «ـمـعـارـضـةـ مـوـسـكـوـ»ـ وـ«ـالـقـاهـرـةـ»ـ وـ«ـالـدـاخـلـ»ـ...ـ مـكـانـهـاـ فـيـ التـفاـوضـ عـلـىـ قـاـعـدـةـ بـقـاءـ الـأـسـدـ.

- معـ أـنـ الرـئـيـسـ بـارـاكـ أـوبـاماـ يـوـاصـلـ التـسـلـيمـ بـالـدـورـ الـرـوـسـيـ،ـ وـاـكـتـفـيـ بـاـتـهـامـ فـلـادـيمـيرـ بوـتـيـنـ بـدـعـمـ «ـنـظـامـ القـاتـلـ»ـ مـعـ إـيـرانـ،ـ فـإـنـ مـوـسـكـوـ تـبـعـثـ مـجـدـداـ مـنـ الـمـيدـانـ السـوـرـيـ الرـسـائـلـ إـلـيـهـ،ـ أـثـنـاءـ جـولـتـهـ الدـاعـمـةـ لـحـفـظـ وـحدـةـ أـورـوـبـاـ وـتوـسـعـ حـلـفـ «ـالـنـاتـوـ»ـ إـلـىـ دـوـلـ الـبـلـطـيقـ.ـ فـتـشـدـدـ بوـتـيـنـ فـيـ سـوـرـيـةـ،ـ بـعـدـ أـوـكـرـانـيـاـ،ـ يـرمـيـ إـلـىـ إـفـهـامـ أـوبـاماـ وـمـنـ سـيـخـلـفـهـ،ـ أـنـ يـتـمـسـكـ بـمـنـاطـقـ الـنـفـوذـ الـتـارـيـخـيـ لـرـوـسـيـاـ.

دـمـاءـ السـوـرـيـينـ هـيـ وـقـودـ الرـسـائـلـ الـرـوـسـيـةـ،ـ وـسـطـ اـنـهـمـاـكـ تـرـكـياـ وـالـدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ الـمـعـنـيـةـ بـهـمـومـهـاـ.ـ وـتـفـرـدـ مـوـسـكـوـ بـتـحـديـدـ موـعـدـ جـدـيدـ لـمـفـاـوـضـاتـ جـنـيفـ يـذـكـرـ بـالـجـنـوحـ الـأـمـيـرـكـيـ نحوـ الـأـحـادـيـةـ،ـ وـإـطـلاقـ يـدـ الـحـلـفـاءـ لـإـسـقـاطـ الـهـدـنـةـ يـكـذـبـ اـدـعـاءـ الـحرـصـ عـلـىـ تـنـطـيـةـ الـشـرـعـيـةـ الـدـولـيـةـ.